

أثر الكاريكاتير في تفكير الساسة

وكان ساستنا عندما ظهر الكاريكاتير يخافون أن يسهم... كانوا يفزعون من رؤية صورهم وقد تناولتها الريشة بالسخرية والاستخفاف. وكان أشد هؤلاء الساسة ضيقاً بالكاريكاتير مصطفى النحاس وعلى ماهر.. وكان أكثرهم فهماً للكاريكاتير وجباً له أحمد ماهر..

ولم أجرب بعد أثر الكاريكاتير في نفسى، فالصور التى رسمها لى صاروخان ورخا بعيدة عن شكلى الحقيقى... ربما كانت أجمل... ربما كانت أقبح!

عبد السميع وحده هو الذى استطاع أن يرسمنى... وهو الوحيد الذى لم أتحدث عنه..

دردشة مع طه حسين

قال لى الأستاذ الدكتور طه حسين: إن أعظم ما استرعى انتباهه فى أثناء رحلته إلى لبنان وسوريا هذا النشاط

الذى لا يعرف حدًا، ولا يقف عند نهاية. وبخاصة في النواحي الثقافية..

وسألته : أما زلت عند رأيك أن هذا النشاط يوشك أن ينقل زعامة الأدب من القاهرة إلى بيروت أو دمشق؟
فضحك وقال : لقد كان هذا السؤال أول سؤال استقبلني في لبنان، وأول سؤال استقبلني في سوريا. وقد قلت لكل من سألني : إننى أردت بما قلته في مصر عن انتقال راية الأدب إلى اللبنانيين أو السوريين أن أحض المصريين على أن ينشطوا ويحدّوا في مجال الثقافة والمعرفة. وأنا في لبنان وفي سوريا أقول للبنانيين والسوريين إنهم إذا لم يستمروا في نشاطهم وإنتاجهم فإن لواء الأدب لن ينتقل إلى أيديهم وسيظل دائمًا في أيدي المصريين...

ومعنى الدكتور طه في حديثه ليقول : إن كل ما أقصد إليه هو التحريض على الإنتاج الأدبي، والنشاط الثقافي، وإشعال نار المنافسة بين جميع البلاد العربية، ولا يعيننا بعد ذلك أن ينتقل اللواء من القاهرة إلى لبنان أو سوريا، وإنما الذى يعيننا أن يظل لواء الأدب والثقافة مرفوعًا ويستوى في

ذلك أن تحميه أيدي المصريين، أو أيدي اللبنانيين، أو أيدي السوريين.. المهم هو أن يظل اللواء مرفوعاً..

وتطرق الدكتور طه من هذا الحديث إلى التعليق على الكلمة التي كتبها صديقنا ناصر الدين النشاشيبي في يوميات «الأخبار» وقد وصف فيها طه حسين وهو يحاضر في لبنان، وأشار إلى ما استقبل به من مظاهر الإعجاب والخفاوة والإجلال، من الناس والأساتذة، ومن المستمعين والخطباء... وقال إن طه حسين لم يجب على هذه الخفاوات كلها بحركة واحدة، ولم يشكر الذين رحبوا به، أو هتفوا له، أو قدموه.. وذكر أن هذا ليس غريباً.. وعقب النشاشيبي قائلاً: «فأنا أعلم أن طه حسين يعتقد في قرارة نفسه أنه أعظم من أن يرحب به أحد، أو يهتف له أحد، وأشهر من أن يقدم له أحد. إنه يؤمن بأن كل مديح يقال فيه إنما هو أقل من القليل.. وكل ثناء يكال له إنما هو بعض الحقيقة وبعض الواجب»

وقال لي الدكتور طه: إنني أشكر ناصر النشاشيبي على هذه الكلمات الجميلة، ولعل هذا الشكر ينفي عني اتهامه لي

بأن لا أشكر المادحين ! فالواقع أن عندما أسمع كلمات الشئاء
يتتابنى نخجل شديد، فلا أعرف بماذا أجيب، ولا أجد خيرًا
من السكوت، بل لا أستطيع إلا السكوت. وأحب أن أقول
إن كلما سمعت ثناء خيل إلى أنه ليس صحيحًا، أو أنه موجه
إلى غيري، فأنا حتى الآن لم أعمل شيئًا يستحق الثناء
والمدح.. .

وإن أو من كل الإيمان بقول الشاعر القديم :
وما أعجبتني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألف شاهد

الشاعر الطبيب

حزنت لوفاة الشاعر الطبيب الدكتور أحمد زكى أبوشادى.
مات بغتة وهو أشد ما يكون حيوية ونشاطًا. وقد ترك بنتين
وولداً، وعددًا كبيرًا من دواوين الشعر باللغة العربية، ومجموعة
من الشعر باللغة الإنجليزية، وبحوثًا كثيرة في البكتريولوجيا
والنحالة.

وقد هاجر أبو شادى إلى أمريكا هو وأسرته في عام
١٩٤٩ وأقام بها، وأعلن في ثورة غضب مما لقيه في مصر.

أنه لن يعود إلى بلاده، ولن يكتب حرفاً باللغة العربية. ولكنه لم يكذب في أمريكا حتى استأنف نشاطه الأدبي باللغة العربية، فأعد للطبع ديوانين من الشعر هما «الإنسان الجديد» و«النيروز الحر» وكان قد أصدر في مصر دواوين «أنداء الفجر» و«الشفق الباكي» و«الينبوع» و«فوق العباب» و«أطياف الريح» و«عودة الراعي» و«من السماء».

ولم يستطع أبو شادي طيلة إقامته في أمريكا أن يقطع صلته بمصر، لقد عاش فيها بفكره، وقلبه، وكان يحس آلامها ويعبر عنها بقصائد نشرت في الصحف التي تصدر في أمريكا باللغة العربية، ونقلتها عنها المجلات الأدبية في مختلف بلاد العرب، ورددتها محطات الإذاعة.

وقبل قيام الثورة المصرية، أذاع أبو شادي قصيدة في إحدى محطات الإذاعة هزأ فيها بفساد الحكم، وسخر من طغيان فاروق.

ولقد كتب أبو شادي عن سبب هجرته لمصر فقال:
إن الرجعيين والناقين بدءوا يعرقلون جهودي، ويسعون

لمطاردتي في عملي الحكومي، وأخذ الناشرون يرضون الرجعيين بالإعراض عن نشر كتيبي.

وقبل أن يهاجر أبو شادي إلى أمريكا توفيت زوجته، وكانت سيدة إنجليزية فضل شاركته الحياة منذ عام ١٩٢٢، ثم اصطدم بالمسولين في جامعة الإسكندرية وكان يعمل أستاذًا فيها.

ولقد كانت حياة أبو شادي العلمية والأدبية صراعًا عنيفًا بينه وبين خصومه العديدين... بعض هؤلاء الخصوم كانوا على خلاف معه في الرأي فحاربوه بأسلحة شريفة. وبعضهم كانوا حاقدين عليه فاستعملوا ضده أسلحة الدس، والكيد، والغدر، وحاربوه في رزقه وسمعته. حتى اضطر أن يبيع مطبعته في السيدة زينب. وكان يقيم في هذه المطبعة حيث يحرر مجلة أبولو الشهرية، ومجلة «الإمام» الأسبوعية.

وقد أسس جمعية أبولو لخدمة الشعر وأسند رياستها لأحمد شوقي فلما مات شوقي أسند رياستها لخليل مطران. وكان أبو شادي في الواقع «دينامو» الجمعية. وطساقها الكبرى. وكان ينظم اجتماعاتها، ويتولى شئون أعضائها وأكثرهم احتلوا مكانة مرموقة

في الشعر، وأكتفى هنا بذكر أسماء من فارقونا إلى العالم الآخر بعد ما تركوا آثارا فنية باقية وهم : الدكتور ناجي، علي محمود طه، ومحمد الهمشري، وعبد الحميد الديب.

وقد باع أبو شادي كل ما كان يملكه عن أبيه المحامي محمد أبو شادي زميل سعد زغلول في الدراسة والحمامة. باع كل ما يملك وأنفق على الكتب، والدواوين والمجلات الأدبية التي أصدرها، وقد دخل أبو شادي عدة معارك أدبية في وقت واحد، حاربه أنصار القديم لأنه كان مجدداً. ولم يقف إلى جانبه أنصار الأدب الحديث، فقد كانوا شيعاً مختلفة، وكان يجارب بعضهم بعضاً بسبب انتساب فريق منهم إلى الوفد، وانتساب فريق آخر إلى الحزب الوطني، وانتساب فريق ثالث إلى حزب الأحرار الدستوريين! وكانت هذه الفرق كلها - قديمها وجديدها - تناصب أبا شادي العدا، وتحمل عليه حملات شعواء قاسية!

وقد هاجمه أحد الكتاب فقال : إن الأطباء يعدون أبا شادي شاعراً والشعراء يعدونه طبيباً !
وكان رحمه الله يضيق بهذا الأسلوب في الهجوم.

مدارس الأدب

كانت مدارس الأدب في مصر أربعاً، مدرسة القلماء
ويتزعمها رجال الأزهر ودار العلوم. ومدرسة للمحدثين بزعمارة
شكري والعقاد والمازن، وقد انقسم ثلثتهم، فاعتزل
عبد الرحمن شكري الحياة العامة واندمج العقاد في مناصرة
الوفد. ووقف المازن موقف المناصر للحزب الوطني حيناً
والمعادى للوفد في جميع الأحيان!

وهكذا أصبحت هذه المدرسة مدرستين أو ثلاثاً!
ومدرسة أخرى للمحدثين بزعمارة طه حسين وهيسكل
وعبد الرازق وعزمى وهؤلاء كانوا يناصرون حزب الأحرار.
ومدرسة زكى أبو شادى وإسماعيل مظهر ومن معها من
شعراء وأدباء كانوا لا يزالون في مستهل حياتهم الأدبية.
وكان لطفى السيد وخليل مطران وشوقي يحاولون جهودهم
ألا يدخلوا في هذا العراك. وكانت أفكار لطفى السيد مع طه
حسين وشيعته. وكان خليل مطران مع النازعين إلى التجديد.
وكان هوى شوقي مع الجميع إلا العقاد والمازن!

حرية القافية

ولقد عرفت زكى أبو شادى فى عام ١٩٣٢ ودعانى إلى زيارته فى جمعية أبولو بحارة عمر شاه بالسيدة زينب. ونشر لى قصيدة فى مجلة أبولو. وقد خالفته فى آرائه، وكان يرى أن يتحرر الشعر من قيود القوافى. وكنت أرى أن القافية شىء مقدس. كان فاقها. وكنت جاهلاً، فقد أصبحت أميل إلى تحطيم قيود القوافى وما هو أكثر من القوافى!

وقد حملت عليه فى بعض الصحف الأدبية وداعبته بنظم شعر على طريقته: طريقة القافية الحرة.. وكان يلقانى فيعاتبنى بمرارة. وكان يظننى عدواً، والواقع أن ما كرهته، ولا ناصبته العداة ولقد أدرك حقيقة فهمى له، وموقف منه فى عام ١٩٤٤، وتكرر لقاى له، وتبادلنا الزيارة.

ولقد كان أبو شادى صاحب آراء سديدة فى الشعر. ولكنه لم يستطع أن يعبر عن هذه الآراء بشعره، فقد كان برغم دعوته إلى التحرر من قيود الشعر: كثيراً ما ينظم على طريقة القدامى. ويتخذ نفس تعبيراتهم وطريقتهم. كأنما يريد

أن ينق عن نفسه تهمة العجز عن التقعر في اللغة..
وكانت موهبته سليمة، ولكنه عرضها للمعطب بسبب
سرعته في النظم. فليس أخطر على موهبة الشاعر من
السرعة.

ولقد أصابه هذا الخطر. وأصبح ما تركه من دواوين تعد
بعشرات الألوف من الصفحات في حاجة إلى غريلة وتنقية
حتى يتميز الشعر الزائف من الشعر الصحيح.

ولقد ظل أبو شادي حتى آخر رمق من حياته يكتب.
ويؤلف، ويذيع في صوت أمريكا. وتكلم في إذاعته هذه عن
كتاب الشعر العربي في المهجر الذي ألفه الأستاذ محمد
عبد الغني حسن، وعتب على المؤلف أنه لم يخص الشاعر
المصرى - أي أبو شادي - إلا بصفحتين اثنتين في حين
أفسح الصفحات الطوال لشعراء لا يستحقون مجرد ذكر
أسمائهم!

واتهم الشاعر إليا أبو ماضي بأنه اقتبس قصيدته «لست
أدرى» من شاعر إنجليزي.

إن أبو شادي العالم الأديب الشاعر سيظل شيئاً كثيراً.
وسيبقى طويلاً في تاريخنا الأدبي.



ساعات معها.. وأيام معه!

اتصلت بي في التليفون ولم تبادر وتذكر اسمها
لما تصورت أنها سيدة.. فلن صومها نبرة شاب، وبحة صهي!
قالت إنها تحمل لى رسالة من صديق يقيم في دمشق،
وسألتنى كيف نتقابل لتسلمنى الرسالة؟ وكنت قد سمعت عنها
الكثير مما يغرى بقلقلها، فلم أنردد في أن أضع يومى كله تحت
أمرها.. والتقينا!

لم تكن بعيدة كل البعد عن صورتها التى ارتسمت لها في
ذهنى قبل أن أراها.. في الخامسة والعشرين، ذكية جذابة،
البديية حاضرة والعينان في غيبوبة.. لسان فصيح، وقوام أكثر
فصاحة، وملامح مهذبة، وفكر سليل!

كانت في حديثها تدور حول نفسها.. تتكلم عن أهلها
وأصدقائها، وزوجها، وبناتها الوحيدة، وشعرها الذى نظمته
باللغة الفرنسية، وقصتها الجديدة التى كتبتها باللغة العربية..
وهى تنطق الكلمات نطقاً صحيحاً، وتردد الأغاني الخفيفة،
وتروى شعراً جميلاً لنزار قباني، والمتنى!

وأهدت لى قصتها الجديدة (أيام معه) وقلت لها إن سأقرأ
القصة بشغف، فإن بطلها صديقي.. ورفعت يدها في وجهي
احتجاجاً، وقالت: لا تظن أن أعنى في قصتي فلاناً.

فقلت لها: أنا لا أظن.. أنا أعتقد!

وانصرفنا على أن نلتقي مرة أخرى.

وقصة (أيام معه) تقع في ٤٠٠ صفحة من الحجم
المتوسط، وقد طبعت بأناقة، وذوق. وترف.. ووضعت بين
دفتي غلاف يثير شهوة القراءة!

بطلة القصة فتاة تمردت على تقاليد عتيقة.. تسلب المرأة
حقها في حرية التفكير، وحرية العاطفة. فليس للمرأة رأى
تعبر عنه، ليس لها أن تحب أحداً، أو يحبها أحد.. وهذه
التقاليد لا تغفر للمرأة أن تعرف رجلاً تحبه علناً.. وتغفر لها
أن تنزل في الخفاء.. تطبيقاً للقاعدة المعروفة: (إذا بليتم
فاستروا).

وأحبت الفتاة كهلاً، في حدود الأربعين، وكانت مخطوبة
لشاب جميل يحبها.. ولا تحبه.

الكهل موسيق - هكذا تقول القصة - والشاب طالب
جامعى .

والفتاة تشبه المؤلفة نفسها . كوليت سهيل خورى . وهى
تصور نفسيتهما الشائرة المتمردة، عندما أرادت أن تكمل
دراستها . إن العادات الصارمة تتعقبها . الأسرة تقف فى
وجهها بالمرصاد، وهى تسأل : لماذا يرفض أبى أن أتعلم .

كيف . . كيف أقبل أن أعيش حياة تافهة ؟

كيف أرضى أن أعيش بين أربعة جدران، أقتل طموحى
بالملل، وأدفن آمالى فى انتظار العريس ؟

لا . . أنا لم أوجد فقط لأنعلم الطهى، ثم أتزوج فأنجب
أطفالا . ثم أموت .

إذا كانت هذه هى القاعدة فى بلدى، فسأشذ أنا عنها .

أنا لا أريد أن أتزوج !

أنا أريد أن أعيش حياتى، لا أن ترسم لى حياتى . . أريد
أن أحصل على شهادات عالية، أريد أن أدرس الموسيقى، أن
أتعلم الغناء، أن أكتب الشعر، أن أرسم، أن أعمل، أن
أشتغل، أن أسافر . . أريد . أريد . أريد .

وكم وكم يريد طموح السابعة عشرة!
وتمضى كوليت فترسم جو الأسرة، وجو المجتمع، وترصد
نظرات الاهتمام التي ترهقها من الناس، وبخاصة من عمها،
فقد كان يعلن للجميع :

أن هذه الفتاة ليست مستزنة ! لماذا تنشر أشعارها في
المجلات؟ وماذا تفيدها كتابة الشعر؟ إنها فتاة غريبة الأطوار..
منطلقة.. تصرفاتها تخلق لنا مشاكل..

المجرد أنني شابة، وصریحة، وأكتب الشعر، يجب أن
أحاکم في هذا البلد؟

وانطلقت الفتاة كما أرادت، استقلت وحدها في سكن
خاص هي وأختها الصغيرة، عرفت صديقها الفنان الكهل،
أحبته، وأحبها.. وكانت تعرف عنه أن قلبه أشبه بالمتحف..
يضم تحفًا من العشيقات.. وأنه لا يجب المرأة.. ولكن يجب
فنه في أية امرأة..

كل امرأة جديدة نعمة يستغلها في وضع لحن جديد!
وقد أبدعت المؤلفة في رسم شخصية البطلة، وشخصية
البطل، وشخصية المجتمع..

ولكن هل (أيام معه) قصة؟

ربما كانت عناصر القصة متوافرة فيها، الجو، والشخصية، والتحليل النفسى، والتحليل الفكرى.. ولكن الشخصيات ثابتة، والأفكار محددة..

إن قصة (أيام معه) أشبه بالغدير الصافى.. ولا ينبغي أن تكون القصة غديرًا، وإنما يجب أن تكون نهرًا يجرى ويتجدد. القصة حياة تنمو وتكبر.. وليست مناظر محدودة، ووقائع مقررة.

ما أشبه كتاب (أيام معه) بمؤلفته.. ليس للمؤلفة كل ملامح المرأة الجميلة.. ولكن فيها كل جاذبية المرأة الجميلة.. وكذلك (أيام معه) ليس فيها كل ملامح القصة، ولكن فيها كل جاذبية القصة!

وأسلوب كوليت خورى مثلها، أحيانًا يخلو من مساحيق الاستعارة والإغراق فى التشبيه، وأحيانًا تتراكم عليه المساحيق.. وتغدو بعض فقراته كما لو كانت معطرة!
إن كتاب (أيام معه). ليس قصة، ولكن لوحات فنية، أشبه بالاعترافات. وقد استطاعت كوليت خورى أن تعترف.. بصدق، وحرارة وأنوثة!

الفن والتعايش السلمى

اتجاهات غنائية متناقضة. جديد وقديم. ألحان سريعة متلاحقة، نغمات بطيئة مسترخية، أصوات ترتفع فوق الموسيقى، موسيقى ترتفع فوق الأصوات، نبرة حماسية، ورنه مرح.. رقص شرقى، ولوحات باليه، أذواق متعددة مختلفة!..

كانت هذه هى السمات الفنية لحفلة الجمهورية التى أقامتها فى سينما ريفولى اليوم، وهى الحفلة المخصص لإيرادها لطلبة الجامعات.. وساهم فيها كل الفنانين.. وقد لقوا جميعًا، على اختلاف نزعاتهم، وألوانهم، إعجابًا جازفًا من الجمهور..

كانت النغمة الشرقية تعيش فى أذواقنا مع اللحن الأجنبى فى مساواة وحسن جوار.. كانت الرقصة الشرقية تشيع فى نفوسنا نفس المتعة التى أشاعتها لوحات الباليه.. الليالى والمواويل عبرت عن كل المعانى التى عبرت عنها الأناشيد والمقطوعات الغنائية والموسيقى المجردة من الكلمات.. هكذا عاشت أذواق الفنانين، وأذواق الجماهير فى سلام..

إن التعايش السلمى يتحقق بين العائشين المتعددين إذا

كان هدفهم واحدًا.. وقد كان هدف الفنانين - على تباين
أذواقهم - أن يقفوا بجوار الطالب الجامعي الذي يريد..
ولا يستطيع!

وقد حققوا الهدف الواحد، بالوسائل المختلفة.. وحققوا
فكرة الملاءمة بين الاتجاهات الفنية. أثبتوا قدرتهم على تحقيق
التعايش السلمى، والتنافس السلمى!

التشاؤم والتفاؤل

ماذا نشاءم، ولماذا نتفاءل؟ هناك من يذهب إلى أن
التشاؤم والتفاؤل لفظان مختلفان لمعنى واحد، هو الوهم..
فالتفاؤل إنسان يرى ضوءًا غير موجود، والتشاؤم إنسان يحاول
إطفاء ذلك الضوء غير الموجود!
وهذا كلام مريح، ولكنه ليس الحقيقة.. فنحن في حياتنا
نشاءم من ناس، وأيام، وأرقام، ونتفاءل بناس، وأيام،
وأرقام..

وقد حاولت عبثًا أن أتحرر من هذا الوهم، أو هذه
الحقيقة، ومازلت إلى اليوم أتشاءم من الرقم الذى يلى رقم

١٢ في الصعود.. فلا أكتبه، ولا أنطقه، وفي حياتي أشخاص
إذا رأيتهم واجهت يومًا ضاحكًا، وأشخاص إذا رأيتهم
واجهت يومًا عبوسًا!

ولم يكن بد من أن ألق صبح اليوم واحدًا من هؤلاء!!
استقبلته في البيت، واعتزمت أن أعتكف طول النهار حتى
لا أتعرض لخطر مجهول.. ولكنني اضطررت إلى الخروج لعيادة
صديق مريض لم أعلم بمرضه إلا أمس، وذهبت إلى المستشفى
فعلمت أن الصديق غادره من عشرة أيام مضت، فحمدت
الله.. وفي المساء تلقيت نعي صديق!

وذهبت إلى دار الفقيد لأودى واجب العزاء، فلم أجد
أحدًا في الدار. وسألت الجيران عن المأتم، وقيل لي إن المأتم
أقيم في البلد منذ أسبوع..

وفهمت أن ما ظننته نعيًا للفقيد لم يكن إلا شكرًا من
الأسرة للمعزين!

وكانت سيارة أجرة تنتظري، فركبتها وطلبت من السائق
أن ينطلق بي في شارع الهرم، فقد كنت في حاجة إلى هواء
طلق. ولما وصلنا إلى نهاية الشارع، أشرت إلى السائق أن

يتنظر أمام أحد المطاعم، وهناك طلبت دجاجة خالية من العظام، وأحضر لي الجرسون عظاماً خالية من الدجاج! ونهضت لأدفع الحساب، فلم أجد حافظة النقود، وخرجت إلى الشارع أبحث عن السيارة فوجدتها، ولكنى لم أجد فيها حافظة النقود!

وسألت السائق: هل يستطيع أن يقرضني جنيناً؟ .. وأعطاني الجنين، ودفعت ثمن العشاء، وركبت السيارة عائداً إلى بيتي .. وقال لي السائق: هل بحثت جيداً في جيوبك عن حافظة النقود؟ .. ولم أجبه بشيء، فقد كنت واثقاً من أن نقودي ضاعت في سيارته .. وأنه وجدها، وأخذها!

ولما وقفت السيارة أمام البيت، نزل السائق، من مكانه، وأدخل رأسه في الجزء الخلفي من السيارة، وأشعل عود كبريت، وفتش تحت الكنب، فوجد حافظة النقود، فقدمها لي وهو يحمد الله .. شعرت بنجمل شديد لأن أسأت به الظن، وأعطيته حسابه، وكافأته على أمانته بثلاثة جنينيات.

هذه المضاعفات كان يمكن أن تقع لي دون أن أرى واحداً ممن يشيرون تشاؤمي .. ولكنها لم تقع إلا بعد ما رأيت هذا الواحد فعلاً!

إن المنطق يهزأ من المتفائلين والمتشائمين.. ولكن هل نحن
نسير في حياتنا بالمنطق؟

إننا نقف، ونتحرك، ونعيش بهواجس نفسية مبهمّة، وقد
نستطيع أن نسيطر أحياناً، على هواجسنا، ولكن الهواجس
تعود وتسيطر علينا في أكثر الأحيان!